وتتعب فيما سوف تكره غبه . كذلك في الدنيا تعيش البهائم
واما استثناؤه صلى الله عليه وسلم من آكلة الخضر فمراده بذلك مثل المقتصد الذي ياخذ من
الدنيا بحقها مقدار حاجته فاذا نفد واحتاج عاد الى الاخذ منها قدر الحاجة بحقه وآكلة
الخضر دويبة تاكل من الخضر بقدر حاجتها ثم تصرف عنها فتستقبل عين الشمس فتصرف بذلك
ما في بطنها وتخرج منه ما يؤذيها من الفضلات وقد قيل ان الخضر ليس من نبات الربيع عند العرب
انما هو من كلا الصيف بعد يبس العشب وهيجه واصفراره والماشية من الابل لا
تستكثر منه بل تاخذ منه قليلا ولا تحبط بطونها منه فهذا مثل المؤمن المقتصد من
الدنيا ياخذ من حلالها وهو قليل بالنسبة الى حرامها قدر بلغته وحاجته ويجتزي
من متاعها بما دونه ولحسنه ثم لا يعود الى الاخذ منها الا اذا نفد ما عنده وخرجت
فضلاته فلا يوجب له هذا الاخذ ضررا ولا مرضا ولا هلاكا بل يكون ذلك بلاغا له
ويتبلغ به مدة حياته ويعينه على التزود لآخرته وفي هذا اشارة الى مدح من اخذ
من حلال الدنيا بقدر بلغته وقنع بذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم قد افلح من
هداه الله الى الاسلام وكان عيشه كفافا فاقتنع به وقال خير الرزق ما يكفي وقال
اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا وفي رواية قوتا خذ من الرزق ما كفى ومن العيش ما صفا
كم هذا سينقضي كسراج اذا انطفا قال صلى الله عليه وسلم ان هذا المال خضرة
حلوة فاعاد على ما ثم نبه على ما تحذر من الاغترار بخضرته وبهجته منظره وحلاوته
طيب مطعمه فلذلك تشتهيه النفوس وتسارع الى طلبه ولكن لو فكرت في عواقبه
لهربت منه الدنيا في الحال حلوة خضرة وفي المآل مرة كدرة نعمت المرضعة و
بئست الفاطمة شعر
انما الدنيا نهار ضوؤه ضوء معار . بينما عيشك غض ناعم فيه اخضرار
اذ رماه زمانه فاذا فيه اصفرار . وكذلك الليل يأتي ثم يمحو النهار
مثل حرام الدنيا كمثل شجر الدفلى يعجب من رآها وتقتل من اكلها شعر
ترى الدنيا وزهرتها فتصبوا . وما يخلو من الشهوات قلب
فضول العيش اكثرها هموم . واكثر ما يضرك ما تحب
اذا اتفق القليل وفيه سلم . فلا ترد الكثير وفيه حرب
الذي تتبرأ منه بفتح الدنيا عليهم حذرهم من الاغترار بزهرتها وخوفهم
من خضرتها وحلوتها واخبرهم بحبها وفنائها وان بين ايديهم دارا لا تنقطع

خضرتها

٧٨

خضرتها ولا حلاوتها فمن وقف مع زهرة هذه العاجلة انقطع وهلك ومن
لم يقف وسار الى تلك وصل ونجى وفي المسند عن ابن عباس رضي الله عنهما ان
النبي صلى الله عليه وسلم اتاه فيما يرى النائم ملكان فقعد احدهما عند راسه
والاخر عند رجليه فقال احدهما للاخر اضرب له مثلا فقال مثله ومثل
امته كمثل قوم سفر انتهوا الى راس مفازة ولم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به
المفازة ولا ما يرجعون به فبينما هم كذلك اذ اتاهم رجل في حلة حبرة فقال ارايتم
ان وردت بكم رياضا معشبة وحياضا روى اتتبعوني قالوا نعم قال فانطلق بهم
فاوردهم رياضا معشبة وحياضا روى فاكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم الم
القكم على تلك الحال فجعلتم ان وردت بكم رياضا معشبة وحياضا روى ان تتبعوني
قالوا بلى قال فان بين ايديكم رياضا هي اعشب من هذه وحياضا هي اروى من هذه
فاتبعوني قال فقالت طائفة صدق والله لنتبعنه وقالت طائفة قد رضينا بهذا
نقيم عليه وقد خرجه ابن ابي الدنيا وغيره عن الحسن مرسلا بسياق ابسط من هذا
وفيه انهم لما رتعوا وسمنوا واعجبهم المنزل صاح بهم فقال ارتحلوا فان هذه
الروضة ذاهبة وان هذا الماء غائر ذاهب وان امامكم روضة اعشب من
هذه وماء اروى من هذا الماء فكره ذلك عامة الناس وقالوا ما نريد بهذه
بدلا وهم اكثر الناس وقال اخرون وهم اقل قولهم كاولئك ارتحلوا فابوا فارتحل قوم فنجوا فلم
يشعر الذين اقاموا حتى طرقهم العدو ليلا فاصبحوا ما بين اسير وقتيل الدنيا خضراء الدمن
ومعناه ان خضرتها نابتة على مزبلة منتنة ينادي الصم قد نعت روضة على مزبلة
والملك يدعوا الى فردوسه الاعلى رضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة فما متاع الحياة الدنيا
في الاخرة الا قليل الصم بكربات البلى من الفردوس الاعلى بدلا يا لها صفقة
غبن اتقنع بخساس الخسائس ورياض نعيمه بين يديك فاحبت الحمى
روضة فيها الفضا ماء ورضات اخر وقوله صلى الله عليه وسلم فمن اخذه
بحقه فنعم المعونة ومن اخذه بغير حقه كان كالذي ياكل ولا يشبع فقسم من يا
خذ المال الى قسمين فاحدهما يشبه حال آكل الخضر وهو من اخذه بحقه ووضعه
في حقه وذكر انه نعم المعونة هو فانه نعم المعونة لمن هذه صفته على الاخرة